

هو العليم

تفسير آية

○ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ N

التأسي و الاقتداء بالسنة

(٢٩ صفر سنة ١٣٩٧ هجرية قمرية)

سماحة العلامة الزجل

آية الله الحاج السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني

فاضلنا من بركات نفسه القدرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هو العليم

تفسير آية

○ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ N

التأسي و الاقتداء بالسنة

(٢٩ صفر سنة ١٣٩٧ هجرية قمرية)

سماحة العلامة الزجل

آية الله الحاج السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني

افاض الله علينا من بركات نفسه القدرية

فہرس

الفهرس

- ٣..... شرح معنى الآية المباركة ^٨ لقد كان لكم في رسول الله أسوة ...
- ٦..... بيان العلة في ضرورة الاقتداء بشخص النبي صلى الله عليه وآله دون سواه
- ٧..... ضرورة التأكد من تحقق الاقتداء في أنفسنا
- ٨..... نماذج من سيرة و سنن النبي: إعفاء اللحى
- ٩..... نماذج من سيرة و سنن النبي: اللباس و بيان مسألة ارتباط التأسي بالحب
- ٩..... نماذج من سيرة و سنن النبي : تسمية الأبناء: أثرها في شخصية الولد و تعبيرها عن شخصية الوالد
- ١٣..... الحب يقتضي التأسي الشامل
- ١٣..... بيان أهمية التأسي: انعكاس حقيقة المتأسي به في النفس
- ١٤..... من سيرة و سنن النبي: اللجوء إلى القرآن
- ١٥..... عودة إلى مسألة اللباس
- ١٥..... خطر الجمع بين سنة النبي و غيرها في مقام العمل
- ١٧..... نموذج الاقتداء التام: أمير المؤمنين عليه السلام
- ١٧..... تنفيذ الاعتقاد بأن مقام أمير المؤمنين أرفع من مقام النبي
- ١٨..... خطبة أمير المؤمنين في التأسي بالنبي صلى الله عليه وآله
- ٢٢..... نماذج من سيرة و سنن النبي: سلوكياته اليومية
- ٢٣..... بيان حقيقة النبي
- ٢٣..... نماذج من سيرة و سنن النبي: جهاد النبي صلى الله عليه وآله
- ٢٥..... نماذج من سيرة و سنن النبي: زواج النبي صلى الله عليه وآله و تعامله مع زوجاته
- ٣١..... نماذج من سيرة و سنن النبي: علاقته مع ابنته و أثره على سلوك زوجاته و الحزب المعادي

المحاضرة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين
ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى يوم الدين

[لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ

وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا] (٣٣) Z (١)

هذه الآية هي الآية الحادية والعشرون من السورة المباركة الأحزاب، وهي تعني: أننا قد جعلنا لكم رسول الله أسوة حسنة، والـ^٨أسوة % تعني: المحلّ والمقصد والهدف والمثل الذي يحتذى به، وهو ما يسمونه بـ <القالب> أو <باترون التفصيل> الذي يقيسون الأشياء عليه ويزينونها به.

والـ ^ أسوة % هي: ما يتأسى به، أي الشيء الذي يتأسى به - حيثئذ يكون المعنى: أن يا أيها المسلمون! قد جعل الله لكم الرسول أسوة حسنة، فهو لأجلكم وبنفعكم ولأجل مصلحتكم.. لمصلحة أولئك الأفراد الذين يذكرون الله كثيراً.. ويتذكرون الله كثيراً.. وهم مؤمنون بلقاء الله واليوم الآخر.. هؤلاء الأفراد قد جعلنا لهم الرسول أسوة حسنة.

وبعبارة أخرى: يجب أن تتأسوا بنبيكم من جميع الجهات، لأن الله قد جعل نبيكم أسوة لكم، فهو أسوة حسنة؛ ليس لديه أي نقطة ضعف.. وليس فيه أي جنة ظلمانية.. ولا قبح ولا سوء.. فهو حسن من جميع الجهات، لذلك يجب أن يتأسى به من جميع الجهات.

فالنبي يستجمع جهات متعددة؛ جهات معنوية.. روحانية.. ملكات.. أخلاق.. صفات.. آداب.. وعليكم أن تلتزموا بهذه الآداب وتطبقوها؛ آداب المعاش.. آداب العلاقات العائلية.. الآداب الشخصية.. الآداب الاجتماعية.. آداب الصلح.. آداب الزواج.. آداب الطلاق.. آداب التجارة.. آداب الزراعة، فجميع ذلك هو من الآداب.

والأشخاص الذين يتأسون بالنبي من جميع هذه الجهات، هم أولئك الذين يرجون لقاء ربهم ولقاء اليوم الآخر، فهم عاشقون لله. وهناك أفراد آخرون لا يرومون التأسى بالنبي، فهم مع أنهم قد أسلموا، إلا أن حالهم ليس كحال الراجي للقاء ربه ولقاء يوم القيامة ونيل الشفاعة، لذلك فإنهم قد آمنوا وأسلموا، ونهلوا من بزوغ الإسلام، إلا أن ذلك لم يكن على هذا الأساس، فأولئك الذين يؤمنون ويعتقدون بنبيهم، يعتقدون بالنبي بشكل واقعي، فيشاركون في الحروب مع النبي، ويأخذون من الغنائم،

ويتزاجون من المسلمين، إلا أن قلوبهم غير منكسرة رجاءً للقاء الله، ولقاء يوم القيامة، ولا تائفةً عشقاً لله وشوقاً إليه بشكل دائم، فلا طاقة أبداً لهؤلاء الأشخاص أن يتخذوا النبي أسوة لهم من جميع الجهات، لأنهم إنما يرضون بالنبي بالمقدار الذي يتناسب مع أهوائهم النفسية وينسجم مع أفكارهم الشخصية، وأما أفعال النبي أو تلك الأمور التي يمضيها ويقرؤها ولا تنسجم معهم فإنهم يردونها ويرفضونها.

مثلاً: هناك أحكام عديدة في شريعة النبي، واحدٌ منها الجهاد وأخذ الغنيمة من الكفار، وجمع الأسرى والعمل على التزامهم بالإسلام، وتربيتهم في البيوت وتوعيتهم وإفهامهم الإسلام وتقريبهم منه، فبعضهم يحبون هذا العمل كثيراً؛ وما إن يعلن النبي الجهاد حتى يلبوا، ولكن من منظار أن الجهاد نوعٌ من عرض العضلات وإبراز الشجاعة وسط الميدان أمام المحاربين، وما يستتبع ذلك من حيازة الغنائم، وفيها الغالي والنفيس، لعله ينال سهماً منها، أو أنه يأخذ بنفسه منها حسب طاقته.. ولكن مثلاً من ناحية الصوم على العكس فإن الآية الأمرة بالصوم بمثابة الأمر الشاق بالنسبة له، لذلك لا يميل إلى العمل بها ولا يتوافق مع هكذا حكم.

بعض الأشخاص منعزلون، فهم أهل عبادة وصوم.. وهم يفهمون الصوم والعبادة بهذا المعنى فقط، لذلك نجدهم ينتظرون نزول آيات الصوم فيأخذون بها ويتمسكون بها، وما إن تنزل آيات الجهاد حتى يتغير لونها! ويصيبهم الصداع! وتخفق قلوبهم! فيشرعون بالتوسل بالنبي: يا رسول الله! هل تشملنا هذه الآيات أم أنه هناك استثناء؟؟ فإن يجبههم النبي بأنها شاملة لهم، يأخذون بالتعلل بأنهم معذورون.. بأن بيوتهم خالية عن

الكفيل والراعي للعيال.. لدينا نساء وأطفال وليس هناك من يحميهم..
وخلاصة الأمر؛ يلجأون إلى حيلةٍ ما للفرار من الجهاد.. صحيح؟

أما من يقبلُ النبيَّ في جميع أطواره وأحواله، وفي كل شؤونه، فإنه يتبع النبيَّ -دون غيره- ويتأسى به، ذلك لأنَّ النبيَّ عبدٌ صالح، وشخص ترك هواه، وليست أفكاره مبتنية على أساس التخيلات الشيطانية والتوهم، هو فردٌ ملكوتي.. قد سارَ وسافرَ وسلك.. وكان سيره عجيباً جداً.. وكان لطيفاً جداً.. كان سفره أفضل من سائر الأنبياء.. فهو خاتم النبيين.. قد طوى كلَّ طرق مهلكات النفس ومنجياتها.. وسمع وأصغى.. وعاین آثار النفس فشاهد الجنان.. وشاهد جهنم والنيران.. وقطع كلَّ العقبات.. وتكلم مع الملائكة.. وتحدث مع أرواح الأنبياء.. ورأى كلَّ شيء.. وورد حرم الله.. حتى أتى إلينا وشرعَ يخبرنا عن كلِّ ذلك. وفي الواقع، أيَّ نعمة هذه أن منَّ الله علينا بإرسال النبيِّ فينا! وأيَّ بلاء حلَّ فينا لو كنَّا قد وُجدنا في الأمم السابقة؟! مثلاً: لو كنَّا في أمة النبيِّ شعيب.. أو أمة النبيِّ موسى.. أو حضرة عيسى.. فهم أنبياء عظام إلا أنَّهم فداء لأقدام رسول الله.. ومنزلتهم كالربوب بالنسبة إلى حضرته.

فمدرسة نبيِّ الإسلام والتوحيد الذي أتى به، وجميعُ العجائب التي أفصح عنها القرآن المجيد فيما يدور حول أحوال النبيِّ، لا تقبل المقايسة والتشبيه حتى مع الأنبياء العظام! ولو كنَّا تابعين لإحدى تلك الأمم لكان سقف كمالنا تابعاً لتلك المرحلة التي كان قد أرادها نبيها ذاك، إلا أننا وبحمد الله، وتحت ظلِّ تعليمات رسول الله وولايته التشريعية والتكوينية،

يمكننا أن نبلغ المقام الذي يريد هو أن يوصلنا إليه، وفرقٌ كبير بين هذا السير وذاك!

على الإنسان أن يتأمل في قلبه ويدقق فيه، ويختبره ويتفحصه ليرى ما إن كان واقعاً قد انطوى قلبه على تبعية النبي كما ينبغي أم لا؟ لأن نفس الإنسان في كثير من المواضع تبدو وكأنها نفسٌ عظيمة متوازنة، ويرى نفسه الحكم الأوحد ويشعر أن نفسه كاملة وأنه في أعلى درجة من الإسلام.. ولكن ما إن يُبتلى بمحكٍّ أو إمتحان حتى ينكشف له أنه ليس من هذا القبيل.

هناك قصةٌ معروفة، يقولون: كانت زوجة العلامة الحلبي قد بلغت رتبة الإجتهد، أي كانت قد حازت على رتبة الإجتهد آنذاك من بين سائر النساء، هكذا نقلوا - والعهد على الناقل - وكانت النسوة تدرسن عندها، حيث كان لديها مدرسة تربي فيها النساء، فهي كانت مجتهدة (حيث يمكن للمرأة أن تصبح مجتهدة، وإن بلغت هذه الرتبة يحرم عليها التقليد، ويجب عليها حينئذ العمل بفتوى نفسها، فحتى مع عدم جواز الإفتاء للآخرين إلا أن فتواها بالنسبة لنفسها حجة) فكانت النساء - لمدةٍ متمادية - تلمس من العلامة الحلبي: أن أجز لنا أن نصلي خلف امرأتك! لتكن هي إمام جماعتنا! إلا أنه كان لدى العلامة الحلبي شيء من التردد حيال هذه الإجازة، حيث كان يقول: علاوة على الإجتهد الذي يمكن للمرأة أن تكتسبه، لا بد من وجود العدالة بتمام معناها، وأنا لا أعلم واقعاً ما إن كانت هي قد بلغت هذه الرتبة أم لا.. وخلاصة الأمر، قالت النساء: في

النهاية هي امرأتك.. ومن ناحية رأيها وفتواها هي كذا وكذا.. لماذا لا ترتضي عدلتها؟! فإننا نرى أن مستواها أسمى من العدالة وأعلى!

قال العلامة: حسناً يمكنكم أن تمتحنوها؛ اذهبوا إليها وقولوا لها: قد تزوجَ العلامة من امرأة أخرى... فإن لم يبدُ عليها أيُّ تغيير في حالها فبه ولا مشكلة في البين، وأما لو ظهرَ عليها تبدلٌ في حالها، وشرعتُ بالويل والعويل.. فاعلموا أنه لا.. فرحتُ النسوة وقلن: سنذهبُ الآن ننقل هذا الأمر لعيال العلامة، وهي بالطبع سوف تجيب قائلة: (هذه سنّة النبي، فإن تزوجَ فهو حقّه، أيّ إشكالٍ في ذلك؟!..). ذهبوا إلى زوجة العلامة وطرحوا عليها ما بجعبتهم من الخبر - وذلك حينما كان العلامة مشغلاً بالقاء درسه - فما إن سمعتُ بذلك حتّى غضبتُ وعمدتُ إلى مكتبته وأخذتُ كتاباً مخطوطاً لنفس العلامة حيث كانت تُدرّسه للنساء - فكتبهم آنذاك كانت كلّها مخطوطات - وألقتُ الكتاب في الماء، وبذلك تتضح المسألة. نعم، ولكن هذا لا يعني أن نحملَ على النساء ها! فالأمر كذلك بالنسبة للرجال، فكما أنه يوجد من ذاك الطرف يوجد من هذا الطرف، تلك الأمور بالنسبة لهنّ، وبالنسبة لنا هناك أمور أخرى، فنحن من بعض الجهات وهنّ من بعض الجهات.

فلا يأمل الإنسان في ورود الجنّة - تلك الجنّة التي كان النبيّ فيها، والتي عاينها في سِدرة المنتهى - إلا أن يتأسّى به، ولا يعطي أيّ أثر لغير كلام النبيّ، فعلى الإنسان أن يتأسّى بالنبيّ، هذه هي المسألة.

النبيّ كان يطيل لحيته، فعلينا أن لا نقصّها، وفقط! والآن لو جئتم واعترضتم بأنّه لا يوجد دليل قويّ على ذلك وعمدتم إلى قصّ شعركم.. وتعلّلتم بوجود رواية ضعيفة أو قويّة... أو سيرة القدماء ثابتة أم غير ثابتة... لا أثر لكلّ هذا الكلام، ولا مجال له، من يحبّ النبيّ عليه أن يعمل مثل النبيّ.

النبيّ لا يحبّ حلق الشعر، ولم يستقبل سفراء "خسرو" و "پرويز" لثلاثة أيّام ذلك لأنّهم كانوا حليقي اللحي، وبعد ثلاثة أيّام قال لهم: من الذي أمركم أن تفعلوا ذلك بأنفسكم؟ فتحلقوا لحاكم وتُسبلوا شواربكم؟! قالوا: أمرنا ربّنا بذلك (ربّنا يعني: الحاكم، أي أمرنا رئيسنا بذلك)

فقال لهم حضرة النبيّ: **أما ربّي أمرني أن أعفُو اللحي وأحفّ**

الشوارب.

من يحبّ النبيّ فلا بدّ وأن يكون محبّاً لله، وكذلك العكس فمن يحبّ الله فهو محبّ للنبي، ويكون محبّاً لأدابه، فيكون لديه حبّ للباسه.. ويكون محبّاً لحذائه.. ويكون لديه حبّ لجوربه.. فينظر ويتأمّل في كيفيّة لباس النبيّ كيف كان؟ وردائه كيف كان؟ وينظر في خاتمه هل كان في يده اليمنى؟ أم أين كان؟ كيف كان شكل بيته؟ كيف كانت عشرته؟ هل كثيراً ما كان يتبدّل حاله؟ هل كان يضحك كثيراً؟ كيف كان سلوكه؟ معاملته كيف كانت؟ فذلك من لوازم المحبّة، ماذا كان يسمّي أبناءه؟ أمير المؤمنين ماذا كان يسمّي أولاده؟ فهذا من لوازمه.

١٠ نماذج من سيرة و سنن النبي : تسمية الأبناء: أثرها في شخصية الولد و تعبيرها عن شخصية الوالد

فقد سمى النبي أولاده: طيب، طاهر، قاسم، فاطمة، زينب، إبراهيم، لأن النبي كان يحب معاني هذه الأسماء ومدلولاتها، وكان النبي يحب إبراهيم، ويحب زينب، ويحب طاهر، ويحب طيب. كذلك أمير المؤمنين، أي الأسماء أطلقها على أولاده؟! وكذلك الإمام الحسين، حيث أعطاه الله ثلاثة ذكور، أربعة ذكور، وقد أسماهم جميعهم "علي" لأنه كان يحب علياً، ولم يهتم بغيره، فهو عاشق لعلي، وهذا من لوازم التأسي والمحبة. فذاك الشخص الذي يسمي ابنه أسداً أو أحد الأسماء الأجنبية الغربية، فذلك لأنه يحب تلك المدرسة، يحب مدرسة "زردشت"، ويحب المجوس، ويقوم بمباركة نفسه!! وعليه فما معنى أن يسمي شيعة أمير المؤمنين أبناءهم بهذه الأسماء: شهلا، مهلا، گيتا، ميترا... وما شاكل هذه الأسماء التي لا يمكن لأحد أن يفهم معناها حتى ولو بمعونة الإسطرلاب! ما معنى هذا الاسم؟! وما معنى ذاك الاسم؟! ما معنى ذلك؟! وفي الأخير، كلما تأمل الإنسان في ذلك سوف يجد أن هذا الاسم الخاص يظهر حقيقته ويحملها، فحينما نقول: الشيخ محمد، شيخ محمد، فإننا نقوم بإظهار معناه وإبرازه.

هذا الطفل الذي وُلد لتوّه فهو معصوم، جاء من عالم الجنة، فنأتي ونختم على جبينه بختم باطل!! ونجعله مُظلماً ومسوداً! زهره وشهره.. ما معنى ذلك؟! هذه الأسماء شيء باطل، ها! وبها يكون قد خُتم على هويته من أول الأمر بختم الهلاك والبطلان، وأما لو أسميناه: علياً، فهو يعني المرتبة العليا، يعني هو متأسُّ بمدرسة علي بن أبي طالب، كذلك لو تسميه محمداً، يعني هو من شيعة حضرة الرسول، يعني: هو منتهج نهج

نماذج من سيرة و سنن النبي : تسمية الأبناء: أثرها في شخصية الولد و تعبيرها عن شخصية الوالد ١١

هذه المدرسة، وكذا لو أسميناها زينباً، ما معنى ذلك؟ يعني الشخص المتميز على زمانه ودهره، وأنه موضع افتخار جميع رجال العالم، وكذا لو أسميناها فاطمة، فيعني: سرّ النبي، وكذا لو سمّيتها صديقة، فلتسموها زهراء.. سمّوها حوراء! سمّوها إنسيّة.. راضية.. مرضية.. كل ذلك من الألقاب، عليّ.. محمّد.. تقيّ.. نقيّ.. جعفر.. موسى.. فكل ذلك أسماء للأئمة، وهي تابعة لهذه المدرسة.

وأما لو تركنا هذه الأسماء وابتعدنا عن روحها ومعناها، ففي الوهلة الأولى التي تتوجّه فيها نحو الاسم الآخر، تكون روحك قد ذهبت نحو ذلك الاسم بشكل أسرع! فقد صرت باطلاً، لا أنك قد لوّثت ذاك المعصوم - أي الطفل - الذي لا حيلة له فقط، وأول ما يقوم به يوم القيامة هو أن يأخذ بتلابيبك.. ويقول لك: كنت طفلاً معصوماً، لماذا أفسدتني؟! أي اسم هو هذا الذي وضعته لي؟! فقد أفسدت نفسك أولاً، وهذه مسألة مهمّة في حدّ نفسها، ها..؟

في وقت من الأوقات سألني أحدهم: لماذا سمّي فلان ابنه "فؤاد" و "فيصل"؟ (أحد المعمّمين كان اسم ابنه فؤاد)، فأجبت: أنا أقول لك: هؤلاء سيّؤوا الحظّ وعاجزون وغارقون في حياتهم المادية إلى الحدّ الذي لا يعرفون معه غير التجمّل وحبّ البروز والتفوّق، وحيث أنّهم شعروا أنّ هذه الأسماء عنوان للهو في الحياة والتلذذ والجموح... فقد رغبوا في تسمية أبنائهم بأسماء من هذا القبيل، فالتسمية بهذا الاسم تنبئ عن هويّة هذه الأسماء وما تنطوي عليه من الحقيقة؛ فتبيّن ما هي أخلاقه؟ كيف هو مرامه وممشاه؟ ما هو مذهبه؟ ما هو أسلوبه؟ وحتى آخر عمره، كما وأنّها

١٢ نماذج من سيرة و سنن النبي : تسمية الأبناء: أثرها في شخصية الولد و تعبيرها عن شخصية الوالد

تفصح عن أن حياته متطابقة مع هذه الهوية التي كان قد قوّل نفسه على أساسها. فيرَبِّي ابنه ليكبر، ثمّ ينفقُ عليه من سهم الإمام.. الخمس.. ومع ألف كذبة.. وكذبة.. ويهرع للزواج من ابنة فلان الدكتور.. أو ذاك المهندس.. لماذا؟! لأنّ هذا المسكين والضعيف قد أتعسَ حظّ نفسه إلى حدّ صار معه يسير خلف ذاك الدكتور ويلقي التحيّة عليه.. والحال أنّ ذاك الدكتور.. أو ذاك المهندس قد استعلى عليه وقزّمه وتعامل معه على أنّه أكبر منه وأعلى منه شأنًا... أو أنّه كان من أوّل الأمر يريد أن يستعلي ويدلي بدلوه ويبرز نفسه ويظهر نفسه.. ولكنّه عجز عن ذلك ولم يتمكّن من طرح نفسه أمام الملاء، فيأتي ويلصق تبعات هذه التجربة وآثارها بابنه ليتدع له شهرةً واسماً... والحال أنّ هذا التوفيق المتخيّل ضلال كله!! وليس علوّاً ناتجاً عن العفّة! ولا ترقياً ناشئاً من الحقّ.

ولذلك ينبغي في الحوزات العلمية والأماكن التي يتمّ فيها تربية العلماء أن يعمدَ إلى إعطاء الشهريّات إلى الطلبة بشكل يحفظ ماء وجههم، دون أن يذهب الطالب بنفسه ليجمع مائة تومان.. خمسين توماناً.. فيذهب وراء هذا.. ووراء ذلك.. بل ينبغي عليهم أن يبادروا في الدفع إليه، فيعطونه بالمقدار الكافي، ويدفعون له مع كامل الاحترام، لتنمو روح الطالب على الشهامة من أوّل الأمر.. وينمو وهو كبير.. ولا يجبل على روح الاستعطاء.. فهناك نقص كبير في حوزاتنا العلميّة، وهذا واحد من تلك النقائص، نسأل الله أن يرفع جميع جهات نقصنا ويرمّمها ويبدّلها ويجعلها صحيحة.

والخلاصة، أنه هناك الكثير من الجهات التي قد خرجنا فيها عن جادة الاستقامة، والحال أننا لسنا ملتفتين، فهناك بلايا عديدة قد حلت بنا، ولم نعد نعلم من أين تنبع ومن أين تواجهنا.

فالذي يحب نبيه يقول: قد جعلت كرامتي ونسبي وحقيقتي وعفتي وعصمتي وروحي.. كل ذلك تابعاً للنبي؛ فلماذا يعمد الإنسان من الناحية العملية إلى جعل الواحد اثنين؟! فإذا كان الإنسان يرتضيه واقعاً، ينبغي عليه أن يلتزم به من كل الجهات، وإن لم يكن يرتضيه فلماذا يضيع وقته!! فجميع هؤلاء الماديين الملتزمين بعدم وجود الله، ألا يحشرون يوم القيامة؟! فقد أمضوا دنياهم هذه بألف لذة وألف كيف، وألف رغدٍ من العيش، ولم يدعوا شيئاً من متاع الدنيا إلا وتمتعوا به.. حسناً، فالإنسان يموت.. وهل يبقى حراً!! فلماذا يعمد بنفسه إلى حبسها في القفص؟! فلو كانت دستورات النبي حقيقة وواقعاً!! فالحقيقة لا تقبل التشكيك؛ والحال أنك تراه يتكلم ويقول: أنا أقبل هذا الكلام.. أنا لا أقبل ذلك.. وهنا يجب أن يبحث.. وهناك.. لا شيء من ذلك صحيح، وجميع ذلك خطأ.

فإن يتأس الإنسان، سوف تتطبع أخلاق النبي وممشاه وسلوكه وأسلوبه فيه، فلو نظر الإنسان في مرآة فإنه يرى صورته فيها، ولو نظر في ماء صافٍ فإنه يرى، ولو شاهد صورة النبي فسوف يرى شمائله في نفس وجوده، كذلك لو يشاهد أخلاقه.. أو يشاهد منهاجه.. ثم إن ترقى ويرى ملكاته النفسية.. ويرى معتقداته.. فإنه وبالتدريج سوف يشاهد حالات النبي في نفسه.

ولو لم يتأسَّ الإنسان بالنبيِّ، فسوف تتجلى فيه روح الشخصية الأخرى التي سيتأسى بها مهما كانت، وهذه قاعدة تكوينية! فلم يعقد الله مع المسلمين عقدَ أخوةٍ أو عقدَ قرابةٍ.. كي تدعوا وبكلِّ سهولة: أننا مسلمون.. وأنَّ الله ضَمَّن لنا أن يوصلنا إلى عرشه!! لا.. بل هناك حساب وكتاب.. فسنة العالم قائمة على هذا الأساس.

٨ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** % أيها المسلمون! اجعلوا قوام تأسّيكم النبي. فانظروا من هو نبيكم؟

يقول نبيكم: <وإذا التبستْ عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن> أي حينما تحوطكم قطع الفتن.. النزاعات.. المذاهب المختلفة.. وتنكبّ على رؤوسكم كقطع الليل المظلم والغيوم السوداء، فإنّ ملجأكم حينئذٍ هو القرآن؛ فتدبروه.. وحلّوا مشاكلكم بواسطة القرآن.. وداووا أنفسكم بالقرآن.. واطرحوا أسئلتكم على القرآن.. اسألوه: هل نقوم بهذا الفعل؟!

فنحن حينما نتنازع في مسألة جزئية نعمد فوراً إلى مذهب ورأي آخر ونتبنّاه.. لأقلّ نزاع شخصي صغير بيننا.. حسناً! فلتكن الآية القرآنية هي الحكم بيننا!! ولنلتزم بما قاله القرآن، لنحلّ خصامنا به! هل نحن حاضرون لذلك؟! أم لا؟ فندع القرآن جانبا، ونركنُ إلى آرائنا وأهوائنا، ونلقي بعنان أمورنا على عاتقنا، الويل لتلك اللحظة التي يُلقى فيها عنان الجمل أو الفرس على عاتقه!! أو ينقطع حبله! فحينما لا يتقدّم الجمال ويأخذ بالعنان سوف يسقط في الوحل ويغرق فيه، وكلّما حاول أن ينشل نفسه يغرق أكثر.. حتّى يموت ويهلك.

فنفس هذا النبي الذي جاء بالقرآن، كم كان يطربُ ويتلذذ بالقرآن؟! فكان يجلس ويقول لعبد الله بن مسعود: اقرأ القرآن! فكان عبد الله بن مسعود يقرأ القرآن للنبي، وكان النبي يبكي، فأبي استفادة كان يستفيد من القرآن.. بأي شكل كان أمير المؤمنين يقرأ القرآن! كذلك حضرة السجّاد بأي نحو كان يقرأ القرآن! كان يقرأ القرآن بكيفية تجعل المارة في الطريق يقفون وينصتون ويجمعون حتى تسدّ الطريق! فيقف السقاء حاملاً قربته المملوءة.. فيمكث حاملاً تلك القربة الثقيلة وقلبه لا يطاوعه في الذهاب دون سماع صوت الإمام السجّاد وهو يقرأ القرآن.. فهذا القرآن مدرسة.. وهو درس.. إلا أننا ننحينا جانباً، ثم أردنا أن نعالج أنفسنا بواسطة غير القرآن، هل يمكن ذلك؟! لا.. لا يزيد إلا بعداً، نريد أن نكون سعداء إلا أن جميع آدابنا وحياتنا وأخلاقنا تحمل آثار الكفر، هل يمكن ذلك يا سادة؟! لا يمكن.. لا يمكن.

يقول نبيّنا: لا تلبسوا ثياباً ضيقة! هو لباس أهل الذلّة، كذلك لا ترتدوا الملابس القصيرة! فهي ثياب أهل الذلّة، صحيح؟ والحال أننا نلبس الثياب الضيقة، ضيقة إلى الحدّ الذي تضغط فيه على بدننا ممّا يوّلّد ألف مرض.. وقد قال جميع الأطباء بأنّ الثياب الضيقة مضرّة للبدن، واللباس الفضفاض مفيد للبدن، فلنر ما هو اللباس الذي يرتديه النبيّ ولبسه، ولا ينبغي أن نلبس نساءنا في منازلنا ممّا نراه على الكجورنال > وعلى فلان.. فهو تأسّ بالكفر ومحرمّ.

نحن مسلمون.. نحن نصلي.. ونحيي الليل بقراءة القرآن.. نحن نتخذ أمير المؤمنين شفيحاً لنا.. نحن ننشئ الجمعيات (لإحياء الشعائر والمناسبات الإسلامية).. ونحن نقوم بالندب على صدورنا.. إلا أن حالنا كما هو عليه!! فمجرد ذلك غير كاف، ولا فائدة فيه "آقا!" فوضع الإنسان إنما يقاس بممشاه ومنهاجه، وبذلك يتحدد الأسلوب العملي للإنسان، فالسلوك العملي للفرد المؤمن هو أن يتأسى بسنة النبي وينفر من سيرة الكفر.. وأن ينظر إلى منهاج النبي بعين الرضا والحسن ويرى نهج غيره سيئاً.. ويعتقد أن كلام النبي حق وأن الكلام المخالف له باطل.. لأننا ما إن نتعد الحق سوف يكون الباطل! لا يكون الحق اثنين.. ولا يمكن أن تجتمع جميع هذه الأمور في آن واحد، فنقبل الأكثرية في الإسلام.. ثم نقبل ذاك المنهج الفلاني.. ثم نلتزم بكلام النبي أيضاً ورتضي الصلاة.. ونقبل ستار السينما... لا يمكن قبول جميع ذلك دفعة واحدة!!

فروح الإنسان تتأثر بتلك المطالب التي تدركها من خلال العين والأذن واللسان وسائر القوى العاطفية التي يتصل الإنسان بواسطتها مع الخارج، فشاشة السينما التي تعرض (الأفلام المخالفة للعفة) وتبثها إلى عين الإنسان، ثم تلتقطها نفس الإنسان.. تأخذها نفس الإنسان.. تأخذها روح الإنسان.. فتتأثر روح الإنسان بها وتصبح غير عفيفة! ولا معنى للتلاعب والتمحل!! فأثار (عدم العفة) تظهر على الشخص وتبرز، وحينئذ تزداد الفحشاء، وعلى المسلمين أن لا يشاهدوا ذلك!

يقول النبي: إذا واجهت منظرًا مخالفًا للعفة فعليك أن لا تنظر إليه، حول عينيك إلى الأسفل، ولا تنظر إلى امرأة غير ذي محرم نظرة تركيز

ZR QP O N[^(١) هكذا كان نهج النبي، وهكذا علينا أن نكون نحن، فإن لم نكن.. نقع في المخالفة، وليس الأمر بأن كل من يطلق عليه أنه <مسلم> يكون الله قد تعهد إليه بأن يحمله دفة السيادة والرياسة!! أبداً.. بل إنه يذل أولئك الأشخاص المخالفين لنهج النبي ممن سموا أنفسهم بالمسلمين.. وخدعوا أنفسهم، فهل لاحظتم ما هو معنى التأسّي؟!]

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: <كنت أتبعه أتباع الفصيل أثر أمه> أي تماماً كما تلحق بنتُ الجمل بأمها وتركض خلفها، فأنا كذلك كنت أتبع النبي، وأسير خلفه وعلى منهاجه، وكلما كنت أسير وأركض وراءه أكثر كان يُفتح لي باب من العلم، وكلما كنت أتبع أكثر كنت أفهم أكثر.. وإلى أي حدّ كان أمير المؤمنين عاشقاً للنبي؟! إلى أي حدّ كان عاشقاً له!! وهل هناك شخصٌ قد استفاد من النبي كأمر المؤمنين؟! فإلى أي حدّ كان يحبّ النبي؟! كان خلف النبي في السفر وفي الحضر.. أصلاً كان رهن إشارة.. كانت روح النبي متجسّدة أمام أمير المؤمنين.. كان أمير المؤمنين يسير خلفه، تماماً مثل العبد الذي يركض وراء سيّده.. سواء في الحروب.. أم في الأسفار.. كان يملأ القربة.. كان يرتب مكان النبي.. كان يكنس.. كان ينصب الخيمة.

هؤلاء الأفراد الذين يقولون: إنّ مقام عليّ أعلى من مقام النبي.. وأنّ عليّاً هو ذاك الذي وضع قدمه على كتف النبي فكان ختم النبوة تحت

(١) سورة التور (٢٤) صدر الآية ٣٠.

قدمه.. وأن غاية النبي في معراجه هي علي.. وأنه لماذا كان عليّ أولاً؟! فهؤلاء لا يفقهون ما يتقولون! أصلاً لا يفهمون ما يلهجون به! يريدون أن يرفعوا من شأن عليّ لكنهم بذلك يهدمون.

فأمير المؤمنين قد وضع قدمه على كتف النبي، لكن ذلك تماماً بمثابة من يكون طفله بجانبه فيقول له: عزيزي! ضع قدمك هنا وناولني ذاك الشيء من على الرف، وهذا هو ما قام به، فكان نابعاً من شدة الالتئام والاتحاد بين روح أمير المؤمنين والنبي، لا أنه بسبب رياسة عليّ وتفوقه على النبي!! فهذا كفر. فالنبي خلال معراجه إنما كان يعرج نحو مقام الولاية، ولكن الولاية هي حقيقة أمير المؤمنين وحقيقة حضرة الرسول، ونبوة نبينا ليست خارجة عن مقام الولاية ولا مغايرة لها، وهو لا يعني أن مقام النبي هو النبوة وأنّ لعليّ مقام الولاية! فالنبي نبيّ ووليّ، وأمير المؤمنين إمام ووليّ، فعليّ خليفة ووليّ، إذن نبينا حائز على الولاية، يعني إنّ هذا الظاهر يرجع إلى الباطن وباطن نبينا هو الولاية.. فالمسألة رفيعة ودقيقة جداً، ولا بدّ للإنسان أن يزن عباراته ويدقق فيها، فلو اضطرب تعبير الشخص شيئاً ما لخرجت المسألة من دائرة الكفر إلى الإسلام أو أن يتبدل الإسلام بالكفر، صحيح؟!

هناك خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة^(١)، حيث كان هناك شخص يرجو الله أن يا رب: أنا أمل بك وأرجوك.. ويسأل الله أن

١ - نهج البلاغة خطب الامام علي عليه السلام ج ٢ ص ٥٦ حيث يقول عليه السلام: يدعي بزعمه أنه يرجو الله. كذب والعظيم، ما باله لا يتبين رجاؤه في عمله؟ فكل من رجا عرف رجاؤه في عمله. وكل رجاء إلا رجاء الله تعالى فإنه مدخول وكل خوف محقق إلا خوف الله فإنه معلول يرجو الله في الكبير، ويرجو

ماذا أفعل؟! وماذا أصنع؟!... فقال الإمام: أقسم بالله أن هذا الشخص

العباد في الصغير، فيعطي العبد مالا يعطي الرب. فما بال الله جل ثناؤه يقصر به عما يصنع لعباده؟ أتخاف أن تكون في رجائك له كاذبا؟ أو تكون لا تراه للرجاء موحدا؟ وكذلك إن هو خاف عبدا من عبده أعطاه من خوفه ما لا يعطي ربه، فجعل خوفه من العباد نقدا، وخوفه من خالقهم ضامرا ووعدا. وكذلك من عظمت الدنيا في عينه، وكبر موقعها في قلبه أثرها على الله تعالى فانتقطع إليها وصار عبدا لها. ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله كاف لك في الأسوة. ودليل لك على ذم الدنيا وعيوبها، وكثرة مخازيها ومساوئها، إذ قبضت عنه أطرافها، ووطئت لغيره أكنافها، وفطم عن رضاعها، وزوي عن زخارفها. وإن شئت ثبيت بموسى كليم الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول "رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير" والله ما سأله إلا خبزاً يأكله لأنه كان يأكل بقلة الأرض. ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه، لهزله وتشذب لحمه. وإن شئت ثلت بدادو صلى الله عليه صاحب المزامير وقارئ أهل الجنة، فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده، ويقول لجلسائه أيكم يكفيني بيعها. ويأكل قرص الشعير من ثمنها. وإن شئت قلت في عيسى بن مريم عليه السلام، فلقد كان يتوسد الحجر ويلبس الحشن ويأكل الجشب. وكان إدامه الجوع، وسراجة بالليل القمر. وظلاله في الشتاء مشارق الأرض ومغاربها، وفاكهته وريحانه ما تنبت الأرض للبهائم. ولم تكن له زوجة تفتنه، ولا ولد يجزئه، ولا مال يلفته، ولا طمع يذله. دابته رجلاه، وخادمه يداه. فتأس بنبيك الأطيب الأظهر صلى الله عليه وآله، فإن فيه أسوة لمن تأسى، وعزاء لمن تعزى وأحب العباد إلى الله المتأسى بنبيه والمقتصد لأثره. قضم الدنيا قضمًا، ولم يعرها طرفًا. أهضم أهل الدنيا كشحا، وأخصهم من الدنيا بطنًا. عرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها. وعلم أن الله سبحانه أبغض شيئا فأبغضه، وحقر شيئا فحقره، وصغر شيئا فصغره. ولو لم يكن فينا إلا حينا ما أبغض الله ورسوله وتعظيمنا ما صغر الله ورسوله لكفى به شقاقا لله ومحادة عن أمر الله. ولقد كان صلى الله عليه وآله يأكل على الأرض، ويجلس جلسة العبد، ويخصف بيده نعله، ويرقع بيده ثوبه، ويركب الحمار العاري ويردف خلفه. ويكون الستر على باب بيته فتكون فيه التصاوير فيقول يا فلانة - لإحدى أزواجه - غيبه عني فإني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها. فأعرض عن الدنيا بقلبه، وأمات ذكرها من نفسه، وأحب أن تغيب زينتها عن عينه، لكيلا يتخذ منها ريشا، ولا يعتقدوا قرارا ولا يرجو فيها مقاما، فأخرجها من النفس، وأشخصها عن القلب، وغيبها عن البصر. وكذا من أبغض شيئا أبغض أن ينظر إليه وأن يذكر عنده ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله ما يدل على مساوي الدنيا وعيوبها. إذ جاع فيها مع خاصته، وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته. فلينظر ناظر بعقله أكرم الله محمدا بذلك أم أهانه؟ فإن قال أهانه فقد كذب والعظيم، وإن قال أكرمه فليعلم أن الله قد أهان غيره حيث بسط الدنيا له وزواها عن أقرب الناس منه. فتأسى متأس بنبيه، واقتص أثره، وولج مولجه، وإلا فلا يأمن الهلكة فإن الله جعل محمدا صلى الله عليه وآله علما للساعة، ومبشرا بالجنة، ومنذرا بالعقوبة. خرج من الدنيا خميصا، وورد الآخرة سليما. لم يضع حجرا على حجر حتى مضى لسبيله، وأجاب داعي ربه. فما أعظم منة الله عندنا حين أنعم علينا به سلفا نتبعه، وقائدا نطأ عقبه. والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحيت من راقعها. ولقد قال لي قائل ألا تنبذها؟ فقلت اغرب عني فعند الصباح بمحمد القوم السرى.

يكذب، فأبي رجاء لديه وأبي أمل بالله؟! أي أمل؟! هي آمال كاذبة! فمن كان لديه أمل لا بد وأن تظهر آثار هذا الأمل عليه، كذلك من كان عنده خوف من شيء فإن أثر ذلك الخوف يظهر في عمله، وهؤلاء الناس يدعون أن لديهم خوفاً من الله والحال أنه لا يبدو عليهم أثر ذلك، في حين أن أثر الرجاء من غير الله ظاهر عليهم وبادٍ، وكذلك أثر الخوف من غير الله ظاهر جداً، وناهيك عن ذلك، فمن لديه أمل بالله يتأسى بنبيه، ويطوي المسير الذي اجتازه النبي في سيره نحو الله، لتتكشف له المعارف والأسرار التي انكشفت للنبي، لا أنه يمشي خبط عشواء وينحرف عن الطريق ويكتفي بالألفاظ ورفع شعار الاعتماد على الله!! ويدعي أن الله كذا وكذا.

ثم بعد ذلك يقول: هلاً فكّرت في كيفية أعمال نبيك؟! وأنها من أي نوع من السلوك هي؟ وأنه إلى أي حد كان صادقاً؟ وكم كان عفيفاً؟ كم كان يتحمّل؟ كم كان واسع الصدر؟ كم كان عليمًا؟ إلى أي حد كان حليماً؟ هل فكّرت في ذلك؟ تعال وتأسى بالنبي حتى يصدق الله رجاءك، وحتى يظهر أثر الرجاء في عملك، وإلا فلتتأس بالنبي موسى، وانظر كيف كان نهج هذا النبي؟ وأي حالات كانت لديه في تلك الأربعين ليلة التي مكث فيها على جبل الطور؟! لم يأكل.. ولم يشرب.. بل استوعب العشق الإلهي كل قلبه.. وأحرقت المحبة الإلهية وجوده.. وصار نحيفاً إلى الحد الذي كان جلد بطنه يحاكي ما في معدته من الخضار وأوراق الشجر التي كان يأكلها! فهو من أنبياء أولي العزم، ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله وتشدّب لحمه>.

وإن شئت فتأسّ بحضرة عيسى، وانظر كيف كان نبياً من أولي العزم، لم يعمر منزلاً.. وكان يتدفأ في الشتاء على مشارق الأنوار (أي في الأماكن التي تطلع الشمس فيها وتسطع عليها).. ضوءه في الليل القمر.. وفرسه الذي كان يمتطيه قدماه.. وخادمه يداه.. لم يكن له زوجة لتلهيه وتصرفه عما هو فيه.. وليس له أولاد ليوردوه في الغم والغصّة.

وإن شئت فلتتأسّ بحضرة داود، فمع ما كان لديه من مقام الجلال والعظمة والسلطة، كان يصنع بيده الدروع من الحديد.. ويحيك السلال من ألياف النخيل.. ويقول لتلامذته: من منكم يذهب ويبيع ذلك ويحضر نقوده؟ فكان يعيل نفسه ويشتري قوته ويقنات عليه.

ثم يقول بعد ذلك: لماذا تتأسون بهؤلاء؟ تعالوا وتأسوا بنبينا الأطيب الأطهر، فتأسّ بنبينا الأطيب الأطهر، والذي هو أصفى وأطهر وأعلى من الكل، فنبينا شيء آخر، قد كانت تحت سلطته تمام الجزيرة العربية، وأرسل أيضاً رسائله الستة إلى الدول الست المتحضرة في ذلك الزمان ودعاهم إلى الإسلام، وكانت الناس مهتمة ومتعلقة به إلى حد أنهم كانوا يأتون ويتنازعون لأخذ ماء وضوئه للتبرك به.. هذا النبي في كل فترة حياته لم يكن ليركب فرساً إذا ما كان هناك شخص معه، أدنى منه في ركابه راكباً حماراً.. وكذلك لم يكن ليمتطي دابة، إذا كان معه أحد ماشياً خلفه.. وإذا كان عنده ضيف في منزله فلم يكن يجلسه بين يديه.. ثم هل كان في بيته فراش؟! لا.. لم يكن النبي يقنني فراشاً في داره، فنصف غرفته ترابٌ ونصفها الآخر من ليف النخيل، كان يفترشها لنفسه!! وكان يأكل خبز الشعير إلى آخر عمره، وقد روت عائشة بعد وفاته: إنه لم يملأ النبي

معدته من خبز الدقيق (القمح) حتى توفي، فقال أمير المؤمنين: لقد كذبت، فالنبي لم يصل حدّ الشبع في سائر طعامه، وإنما لم يأكل خبز الدقيق أصلاً!! أي لم يشبع من خبز الشعير ولم يذق خبز الدقيق أصلاً، وليس ذلك لعدم حصوله عليه وعجزه عنه، فقد كان لديه كل شيء، إلا أنه تركه تواضعاً لله، ولم يكن تركه لذلك وعدم تناوله إيّاه تدريباً لنفسه على الزهد فيه أو توهيناً لنعمة الله.. لا، فهو عارف بالله، لذلك فهو لا يرى لهذه الأمور قدراً ولا قيمة من الأصل، يرى نفسه رقيقة وشامخة إلى القدر الذي لا ينصرف إلى شيء غير الله، فلا مجال لديه لغير المطالب العالية، ولا فرصة لديه إلا للبحوث الراقية.. العرفان.. التوحيد.. تكميل البشر.. الإصلاح.. الأمر بالمعروف.. النهي عن المنكر.. الموعظة.. الخطبة.. الجهاد.. الحج.. فإذا ليس هناك أي وقت أو فرصة كي يُصرف في صناعة اللباس لنفسه، فمثل ذلك للآخرين.. للمترفهين والمتفكّهين بالدنيا.

فتعال وتأسّ بنبيك، وانظر كيف كان نبيك، خرج من الدنيا ولم يضع لبنة على لبنة ولا حجراً على حجر.

ويكون الستر على باب بيته فتكون فيه التصاوير فيقول: يا فلانة! (لإحدى زوجاته) غيبه عني فأني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها.

كان يجلس بين الناس، ويتكلم بين الناس، ويضحك بين المؤمنين، وكان يقطب ويعبس في وجه المشركين والكافرين ويذلهم، وكانت النساء تحبه، والرجال يحبونه، فكان يخالط الجميع، ليس لديه شيء من التكبر ولا أيّ شأنية لنفسه، بل كان كأحدهم، يخاطبونه أن: يا محمد تعال، فيأتي، ويقولون له: اذهب، فيذهب، وكانوا يستضيفونه إلى منزلهم فيلبي،

دون أن يتأمل في طبيعة هذه الدعوة من كون صاحب المنزل فقيراً أو معدماً، بل كان يحب ذلك ويأتي، وإذا دَعَوَه على (فخذ غنم) وكان المنزل بعيداً كـ <كُراع الغميم> (موضع بين مكّة والمدينة يبعد فرسخين عن المدينة وهو كناية عن بعد المسافة) كان يقوم ويلبّي.. ويجلس.. يتكلم.. يظهر المودّة بحرارة.. يسأل عن الأحوال.. فكان يسأل عن أحوال المضيّف.. يسأل عن أحوال أولاده.. ويجيب عن إشكالاته.. ويسأله عن مشكلاته.. وإذا كان حافظاً لسورة من القرآن ولديه شيء من الاشتباه فيها كان يقرأها في محضر النبيّ وهو يصحّح له.. كان عادياً ها..! عادياً دون أيّ تكلف أبداً.. وقوله [Zn ml k ^(١) يوضّح هذه الحقيقة.

فتعال أيّها المسلم إلى نبيّك وتأسّ به، هل رأيت من هو نبيّك؟! كان يتفرّغ ليلاً للعبادة، وأيّ عبادة عظيمة كانت!! وذلك مع أصحابه وأنصاره وأهل بيته، ولم يكن ينام كثيراً، فكان نوم النبيّ قليلاً، بحيث أن فراشه غالباً كان مطويّاً.

والذين يدعون أن النبي كان فيلسوفاً أو أنه كان شجاعاً وسيفاً مدافعاً عن المرأة.. وأن الدين ليس ديناً إلهياً...!! فهؤلاء معاندون وزنادقة من النصارى يريدون طمس حقيقة الإسلام بهذا الكلام. فالنبيّ رجل حقّ، يعني كان يقول: إن الله حقّ، وأساس الحقّ وسائر القوانين والأحكام هو التوحيد، وهذا هو الطريق الذي اجتزته أنا، وعلى جميع البشر أن يستفيدوا ويربحوا من هذه السفارة.

وجهاد النبي كان مبنياً على هذا الأساس، ففي أي موضع قاتل النبي للحصول على المال وكسب الغنيمة!! كان يصل إلى حدود الأعداء ويأمرهم بالإسلام.. ويترك عبادة الأصنام.. والسرقه.. الربا.. النهب.. التعدي على حدود الآخرين... ثم بعد ذلك يخلي سبيلهم ويرجع حيث جاء. هل رأيتم أو سمعتم في جميع مذاهب الدنيا أو التواريخ أن شخصاً كان يسير ويتحرك ويجاهد على هذا النحو؟ حيث كان يسير بجيشه ويحرك شبابه وعشائره والمسلمين وشبابهم الذين كانت كل ذرة منهم أتمن وأغلى من الدنيا والآخرة بالنسبة للنبي، فالتبى ربى شاباً كهؤلاء، ثم مع ذلك يسير بهم ويتحمل نفقة ذلك كله، ليشد بطنه بالحجر من شدة الجوع (لأن الإنسان حينما يبلغ منه الجوع مبلغاً، يضعف فإن شد معدته بشيء وضغط عليها فسوف يحس بالشبع ويقل شعوره بالجوع، على العكس مما لو خلاها وأرخاها فإنها تبقى مرتخية، فيشعر بالجوع بسبب خلوها) فكان يضع حجراً على بطنه من شدة الجوع كي لا يتألم! والحال أنه كان نبي الله، وجميع أشرف مكة والمدينة يقولون: سيدنا! تعال وارجع.. نحن نعطيك سريراً وعرشاً تجلس عليه، ونعطيك مالاً، ونهديك كل مجوهراتنا وذهبنا، ونجلب لك أجمل فتيات الدنيا اللاتي ترغبهن، فاهناً في حياتك، وأوامرك نافذة علينا، ونقبل كل ما تقول، ولكن لا تقل: إن الله واحد، تراجع عن هذه الكلمة، ولا تأمرنا بذلك، وفي آخر المطاف يقول لهم: أقسم بالله أن لو تضعون الشمس في يميني والقمر في يساري... قولوا لا إله إلا الله تفلحوا دون أي تلاعب وتحايل، فالله واحد ويجب أن تقولوا: الله واحد.

فكان النبيّ يحرك المجتمع ويحثه على الدفاع والجهاد كي يصبحوا مسلمين ويعتقوا الإسلام، حينئذٍ يخلي النبيّ سبيلهم ويرجع، ويصبحوا بالتالي مصانين محترمين، ومالهم محفوظاً، ولا يحقّ لأيّ مسلم أن يتعدّى عليهم ولو بمدّ يده على طرف ثوب امرأة منهم، أو أن يسلبها خلخالاً من قدمها.. فهم مسلمون، وأمّا لو لم يسلموا (بأن يقولوا نحن لا نعتقد الإسلام)، فإن كانوا مشركين ولا يعتقدون بالله أصلاً، فلا مفرّ لهم من الجهاد والقتال، وأمّا لو كانوا معتقدين بالله إلا أنّهم كاليهود والنصارى فإنّ بإمكانهم أن يعطوا الجزية لصندوق بيت مال الإسلام كي ينفق هذه الأموال عليكم كي تصبحوا مسلمين دون أن نحاربكم، فمع الجزية لا نحاربكم... أيّ مدرسة عظيمة هذه المدرسة؟!!

لقد تزوّج النبيّ، و توفّي مخلفاً تسعاً من زوجاته، فقد كان له زوجات عدّة حين حياته، ولكن من أيّ النساء كان قد تزوّج؟! أيّ النساء! فهل كان لديه ذوات الثلاث عشرة أو الأربع عشرة؟! فأول امرأة تزوّجها النبي هي حضرة خديجة، حيث كان عمر النبيّ خمساً وعشرين سنة، ذلك أنّه لم يتزوّج حتّى سنّ الخامسة والعشرين!! ولما تزوّج السيدة خديجة كان عمرها يناهز الأربعين، فقد كانت أرملة لزوج سابق وكان لديها أطفالٌ منه، فأولاد نسائه معروفون، فزوجها السابق اسمه أبو هالة، وطوال المدّة التي كانت خديجة تحت حبال النبي لم يتزوّج ثانية. عاشت السيدة خديجة بضع سنوات حتّى رحلت عن الدنيا، يعني: أنّ النبي حيث كان عمره خمساً وعشرين سنة - وهو عام زواجه من خديجة - حتّى سنّ الأربعين - أي حينما بعث نبياً - ثم إلى السنة الثانية عشر للبعثة حيث ارتحلت

خديجة عن هذه الدنيا، فنضيفها فوق الأربعين سنة؛ لتكون النتيجة أن عمر النبي اثنتان وخمسين سنة، وكم كان عمر خديجة؟ عمرها أربعون مضافاً إليها خمس عشرة سنة أي خمساً وخمسين سنة، ثم نضيف إليها الاثني عشرة سنة، ها؟ سبعٌ وستون سنة.

يعني رجلٌ لم يتزوج في عنفوان شبابه؛ في الثامنة عشرة.. التاسعة عشرة.. في سنّ العشرين.. في الرابع والعشرين.. حتّى الخامس والعشرين لم يتزوج.. ثمّ تزوّج في الخامس والعشرين من عمره من امرأة كبيرة وظلّ صابراً سبعةً وعشرين سنة، ولم يتزوج حتّى ارتحلت خديجة عن الدنيا.. فهل يمكن أن نعدّه رجلاً شهوانياً!! وهل يمكن أن نحسب زواجه تلبيةً للدواعي النفسية؟! ألم يكن هناك أمرٌ آخر؟!

وبعد ذلك، من هنّ اللواتي تزوجهنّ النبي؟! كيف كنّ هؤلاء! فأحوالهنّ معلومة من التاريخ والأحاديث، حيث ذكر الكثير عنهن بشكل مفصّل، سواء من جهة تحديد سنّهنّ، أو إلى أيّ قبيلة كنّ يتتمين، أو حالهنّ، كلّ ذلك واضح، فبعضهنّ تزوج النبيّ منهنّ كي يُسلم قومهنّ، ففصيفة بنت حبيّ بن أخطب ابنة أحد كبراء اليهود من بني قريظة، قد أحبّت النبيّ، وطلبتُ منه الزواج، فتزوجها النبيّ، وببركة ذلك سلّم جميع قومها واعتنقوا الإسلام.

وبعضهنّ كانَ يأتي بيتَ النبيّ، ويطلب الزواج ويقول: يا رسول الله! قتلَ أزواجنا في الحرب، ونحن من أشرف قومنا، وقد كان أزواجنا من كبراء القوم، فليس بإمكاننا أن نتزوج من أيّ إنسانٍ آخر، ونحن نحبّك، فهل تأذن لنا أن نكون خدماً في منزلك؟ فيماذا يجيبهنّ النبيّ وكيف!! بسم

الله.. تفضّلوا، من الواضح أنّه سوف يستقبلهنّ، أمّ سلمة زوجة النبيّ كانت امرأة كبيرة في السنّ، وحفصة زوجة النبيّ، والتي إلى أيّ حدّ كانت تؤذي النبيّ!! فكانوا يذهبون إلى الحرب ويستشهدون ثمّ يودعون نساءهم عند النبيّ ليحفظهنّ، فكان النبيّ ملاذاً لهنّ، وكان هو الذي يتقبّل هذا الحمل، كان يتحمّل حمل الأُمّة أجمع، وكان يسوقهنّ جميعاً نحو ذاك العالم؛ فيجب عليه أن يحرك هذه المرأة ويضعها في طريق السير والسلوك.. وكذلك تلك المرأة.. فكان يسيّر هذه ويسير تلك.. ويحرك هذا الرجل ويسير بذاك.. فالنبيّ يشعر بوجوده أنّه في محضر الله وأنّه مسؤول أمام الله، ولم يكن من الذين لا يبالون بهذا.. سواء دخل هذا جهنّم أم لا.. بل كان يقوم بعمله وسعيه، وليس له الحقّ أن يضع قدمه على نملة.. نعم النملة!! لا حقّ له في ذلك، ليس للنبيّ حقّ في ذلك، في نملة واحدة!! لا يمكنه أن يضع قدمه على نملة ليرفسها!!

كان النبيّ سليمان يسيّر مع عسكره في وادي النمل، فقالت رئيستهم: يا أيّها النمل ادخلوا مساكنكم بسرعة، فهذا هو سليمان وجنده آتون فيحطموننا [Z p on ⁽¹⁾ أي وهم غير ملتفتون ودون أن يشعروا، يعني لو كان سليمان وجنوده ملتفتين فلا يسحقوننا بأقدامهم، فهذه النملة نسبت عدم الشعور إلى النبيّ سليمان. أمّا نبينا فقد قال: لا يحلّ لكم قتل نملة بشكل عبثي، ويجب أن لا نحرق النمل بالنار، ينبغي أن لا تلقي بالنمل في النار، وإنّ كان النمل يتسبّب بالضرر فعليك أن تدفع الضرر

حتى ولو بقتله، ولكن لا يحقّ لك أن تحرقها، كذلك لا يحقّ لك أن تحرق قطة المنزل في النار، ولا أن تلقي بالفأرة في النار وتحرقها، وليس لك أن تحرق بعوضة، وإذا كانت مضرّة فاقتلها، ولكن لو أردت قتلها افض عليها بضربة واحدة، وأمّا إن كانت البعوضة حيّة وأذيتها وعذبتها فهذا العمل يؤدّي بك إلى جهنّم! يعني: الله سبحانه يدخل إنساناً في جهنّم لأجل قتله فأرة أو هرة، غنم، بقرة، فليس للإنسان حقّ في أن يحرق شيئاً من الحيوانات، فللنبي حقّ علينا في أن نتأسّى به، فيجب علينا أن نتأسّى به.. النبي أسوة لنا.

إلى أي حدّ كان عطوفاً وحليماً مع نسائه؟! فلم يكن نساءً ملكوتيات! نعم..! كان فيهنّ من جميع الأصناف، من جميع الأصناف، أعان الله النبي!! وماذا كان يفعل؟! كيف كان يواجه هؤلاء النسوة!! كن يتسببن للنبي في كلّ بلاء!! حتى في غذاء النبي.. حيث كانوا يضعون فيه بعض التوابل ذات الرائحة السيئة مثل الثوم، حتى يأكل النبي منه ويتأثر فمه برائحته ثم تأتي زوجته وتظهر تنفّرهما منه، فلا يعود النبي يقترب منها.. أو تكون إحدى زوجاته قد صنعت بعض الحساء في بيتها فتحبّ أن ترسل إلى النبي وعاء منه، - وهو في منزل عائشة - فترسل له تلك الزوجة شيئاً من هذا الحساء، فما إن تقع عينا هذه الزوجة على ذلك الوعاء حتى تأخذها من النبي وتكسرها وتريق المرق!! كيف كان النبي يقابل ذلك؟ هل كان يلحقهنّ بالعصا!! لا.. بل كان ينبههن بالموعظة والهدوء: لم تقدمين على هذا العمل!! ليس لهذا الطعام جرم! فأنت الآن ضامنة له.. وقد كسرت الوعاء..

فلو أنك أبديت محبتك لتلك.. حسناً لا عليك.. لا بأس.. فعلى الإنسان أن يتحمل.. يجب أن يصبر.

هذا الأسلوب في التعامل هو موعظة من النبي، وهو نوع من التحمل والجلد، وهنا تتضح حقيقة [Z o n m i k]^(١). وحينئذ يثبت أنه - في الواقع - ينبغي أن تكون عصمة المرأة بيد الرجل. على الرجل أن يحفظ عصمة المرأة، يجب عليه أن يحفظها من المخاطر والمهالك.

فأوامر النبي كانت تبت الحياة للناس، وشرحه وبيانه للمطالب كان يغير حياتهم، فكان الناس يأتون ويمدحون النبي.. ويتعلمون أيضاً.. وكانوا يفهمون.. أولئك الذين كانوا يعتنقون الإسلام كانوا يفهمون.. يعني: كانوا يدركون المطالب من ناحية الملكوت ويفهمونها ويصبحون مسلمين.

كان يخطب في الناس، وكان يتكلم عن التوحيد.. عن المعاد.. يلقي الموعظة.. فكان يخطب في الناس معتلياً المنبر، وهو في الأثناء إذا وقع بين الناس اختلاف.. أو مشكلة بين قبيلتين.. الأوس و الخزرج.. حيث كان لهما سابقة في نشوب النزاع فيما بينهما، فيتنازعون ويتضاربون بالنعال في محضر النبي وهو على منبره.. كل فرقة منهم ترمي على الأخرى!! وكان النبي - من على المنبر - يقوم بتهدئتهم وتسكينهم.. وكانوا لا يصغون ولا ينصتون حينما يجلسون في محضر النبي.

ولدينا في كثير من الروايات المروية عن الشيعة وعن السنة كذلك، بل وجدتُ ذلك في السيرة الحلبية والتي هي من المصادر السنّية، حيث ينقلون أنّ عائشة كانت تقول للنبيّ في غضبها:

«أنت الذي زعمت أنك رسول الله! أنت الذي تقول: إنني رسول الله!

تفعل هذا الفعل!!»

كما وكانت حفصة - ابنة عمر - تخاصم النبيّ، فكانت تزعجه.. وكانت تؤذيه.. تقوم بالبهتان والنميمة.. توقع النساء بالتخاصم.. كانت تثير الفتنة.. فكان النبيّ يأمر أحد الأشخاص أن يحضرها إلى مكان معيّن كي يحكم بينه وبينها؛ فكان يرسل وراء والدها (السيد عمر)؛ فليأت ليقض بين النبيّ وبين ابنته!! وكان في بعض الأحيان يضرب ابنته، أن لماذا فعلت هكذا مع النبيّ؟! هكذا كانت ها!! امرأة من هذا القبيل!!

ثمّ أيّ بلاء ومصائب جلبوها لأمّ سلمة!! ماذا عن مصائب السيدة فاطمة الزهراء!! إن أردتم أن تتعرفوا على ذلك فعليكم بمراجعة شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، فمع أنّه سنّي المذهب (شافعيّ معتزليّ)، يبيّن هناك أنّه لو أردتم الوقوف على سبب معاداة عائشة لفاطمة الزهراء، فلقد سألتُ أستاذي النقيب عن ذلك وأبان لي الكثير عن ذلك، فيشرح ذلك بشكل مفصّل ويبين الأسباب فيه، وذلك بشكل متقن ومحكم.

ولكن إلى أيّ حدّ بلغ تحمّل النبيّ؟! عجيب جداً.. جداً جداً.. أيّ تحمّل هو هذا!! وأيّ سعة هذه! حيث كان يرى الحقيقة عياناً أمام عينيه.. ويعرف واقع الأمر بشكل حقيقي!! حيث كان بعضهم يعمد إلى إخفاء أفعالهم.. إلاّ أنّه كان لا ينطق بشيء ولا ينطق بشيء غير الحقّ.

ذات يوم كان النبيّ منفِعلاً، وكانت النساء جالسات عند النبيّ، فقال:
ليت شعري أيتكنّ صاحبة الجمل الأدب تنبّحها كلاب الحوآب؟! أي
لا أدري أيتكنّ سوف تتركب الجمل الكبير الذي في وجهه وبر أحمر،
وهي تمشي في منطقة الحوآب حيث تنبّحها الكلاب.

فجالت النساء في التفكير في أنفسهنّ، كيف يتفق ذلك؟ وأيّ منّا
تمتطي الناقة ذات الوبر الأحمر وتعبّر منطقة الحوآب (الحوآب هي اسم
منطقة) ثمّ تنبّحها الكلاب وتهجم عليها ويكون النبيّ غاضباً عليها حينئذٍ؟
وقد كتب الشيعة والسنة ذلك بأجمعهم، وذكر ذلك المؤرخون مثل
الطبري، من أنّ عائشة حينما ركبت الجمل وجاءت إلى البصرة لتقاتل
أمير المؤمنين، كان الذي يأخذ بزمام ناقتها ابن أختها عبد الله بن الزبير،
حتّى وصلوا إلى أرضٍ فحملت الكلاب على جمل عائشة، فتنبّحت عائشة
بسرعة وسألت عن اسم المكان، أين هو هذا المكان؟ ماذا يسمّون هذا
المكان؟ قالوا: اسمه الحوآب، فقالت: الويل لي.. أنا التي وقعت مصداقاً
لكلام النبيّ (أيتكنّ...).

فقال عبد الله: ماذا تقولين؟! من الممكن أن يكون شيئاً آخر!! فلعل
الحوآب مكانٌ آخر غير هذا المكان، ولعلّ الناقة هي غير هذه الناقة، ولكن
إذا أردت أن ترجعي فلنرجع... ولكن قد اتفق لها ذلك وقد نبحت
وهجمت على عائشة.

كان النبيّ يحبّ فاطمة الزهراء كثيراً، كان يحبّها، وهذه المحبة لأمر
يرجع إلى سرّ النبيّ، ففاطمة الزهراء هي ابنة النبيّ وسرّه، وكان يحبّها
أكثر من جميع أولاده، يحبّها أكثر من ابنته الأخرى زينب، كان يحبّها أكثر

من جميع هؤلاء، ناهيك عن أنها قد تولدت من السيِّدة خديجة زمان البعثة، بعد أن آتاه الله العليّ الأعلى النبوة.

ففاطمة الزهراء كانت نموذجاً، ولو أردتُم أن تعرفوا ذلك ولو بنحو مجمل، فالأئمة عليهم السلام هم من نسل أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء، يعني لا بدّ وأن تكون فاطمة الزهراء ذات طهارة وعصمة بحيث أنه ينبغي لصاحب الزمان أن يتولّد من رحم فاطمة الزهراء مظهر العدل ومظهر التوحيد، ينبغي لسيد الشهداء أن يكون متولّداً من فاطمة وينحدر منها، كذلك موسى بن جعفر يجب أن ينحدر من هنا، الإمام محمّد التقّي يجب أن يكون من هنا، ولا بدّ للأئمة أن ينحدروا من هنا. وأمّا والدهم، فهو أمير المؤمنين والذي هو يفصح عن ذاته بنفسه، من زمان طفولته حتّى سنّ وفاته، كذلك يجب أن تكون زوجه هي تلك، فهي سرّ النبي، يعني هل تدرّون ما معنى ذلك؟ سرّ النبي يعني ذات النبي؛ يعني هي عين النبي غاية الأمر أنّها النبيّ الصغير، يعني هي عين النبي في سنّ الثامنة عشر.. هذا هو معناه.. وتمام روحياته وأخلاقه وحالاته المعنويّة والتوحيدية قد رسخت فيها، فليس نظر النبيّ ظاهرياً، بل هو نظر واقعيّ، هذه هي رؤيته، هي رؤية ملكوتيّة.

وكان كلّما أراد أن يشرع في سفرٍ، لم يكن يخرج من بيوت عيالاته، وإنّما كان يذهب ينطلق من حجرة ابنته، وحينما يعود من سفره، كان أوّل ما يحلّ به هو منزل فاطمة يسلم عليها، كان يتوقّف فيه، وبعد ذلك يذهب إلى منزله، كان يقبل فاطمة، يقبل يد فاطمة، يقبل صدرها، وكلّما كانت تأتي فاطمة إلى أبيها، كان النبيّ يقوم لها ويجلسها مكانه، وهذا ثقيل جداً

على النساء العاقرات اللواتي لا نسل لهنّ ويرين بأمّ أعينهنّ كيف يفعل زوج تلك التي توفيت - أي السيدة خديجة - مع ابنتها!

فتارة تكون المرأة مثل أمّ سلمة؛ كلّما ازداد النبيّ في حبّه لفاطمة الزهراء ازداد سرورها، لأنّها هي داخل هذا الحرم.. ولكن أحياناً لا تكون كذلك، بل تكون الزوجة.. تكون ملوّثة، يعني الغشّ نابت في روحها، وهو ما يبثّ العداوة والبغضاء.. يسبب الهدم والتخريب.. فتؤذي.. تشيع الوشاية.. تتكلّم بكلام فظّ.. تنسب السوء إلى النبيّ.. كيف ترى النبيّ يُجلسُ أولاد ابنته على ركبته والحال أنّها لا أولاد لها!!؟ فهي تريد أن يكون لها من جانب النبيّ مثل هذه المحبّة التي كانت لديه اتّجاه فاطمة الزهراء، والحال أنّه ليس للنبيّ فعل ذلك، فالنبيّ صاحب رؤية ملكوتيّة، فالنبيّ ليس شهويّاً، ولم يكن زواجه على أساس شهوانيّ.

أنت عائشة منزل النبيّ، وكانت ابنته هناك، ولكن النبيّ لم يعتن بها كما يعتني بفاطمة، فهي سرّه، وهي ملكوته، وأمّا تلك فهي مجرد ظاهر سيّء، إلاّ أنّهن لا يقنعن بل يقلن: نريد أن تجعلنا في ميزان واحد... هل يمكن جعلهنّ في ميزان واحد؟! لا يمكن وضعهنّ في ميزان واحد، ليس للجهل أن يكون في صفّ العلم يوزن معه جنباً لجنب! وليس للنور أن يوضع مع الجهل في كفة ميزان واحدة، حتّى النبيّ لا يمكنه فعل ذلك، بل على النبيّ أن يحفظ حقّ كلّ شخص بما يتناسب مع حدوده ومستواه.. لذلك كنّ يحقدن.. كنّ يؤذينها.. حتّى أنّه أحياناً، كانت فاطمة الزهراء تأتي منزل النبيّ فيقلن لها كذباً: هو ليس موجوداً.. فلا يفتحن لها الباب.

ولكم تسامحت! وكم تغاضت! ولقد انتقلتُ عدوى هذه الجماعة من داخل المنزل إلى خارجه، وهو الحزب المخالف لأهل البيت الذي كان في منزل النبيّ من أمّ حبيبة وحفصة وعائشة وعدة آخرين مرتبطين بالخارج (مع أبي سفيان ومع عمر ومع أبي بكر ومع معاوية وهؤلاء...) حيث كانوا مرتبطين ببعضهم البعض ضمن شبكاتٍ، يتناقلون الأسرار من داخل بيت النبيّ إلى الخارج، ففي سورة التحريم التي أحضر النبيّ نساءه فيها وخاطبهنّ قائلاً:

<ألم أنهكنّ عن نقل ما يحدث داخل البيت إلى الخارج!! لماذا نقلتنّ هذه الأمور؟! فقلن: لم نقل شيئاً، فتلا عليهنّ آية القرآن، فقالوا: من الذي أخبرك بذلك؟ أخبرني جبرائيل.>

فهم لا يقدرّون على مواجهة فاطمة الزهراء ومعاداتها من جهة التقوى والعدالة وتلك النورانيّة وتلك الطهارة، فما هو الذي بأيديهم من هذه الجهة؟! لذلك فإنّهم يعمدون إلى طريق آخر، فيقتلونّها وهي في سنّ الشباب! يعمدون إلى إسقاط محسنها! يقومون بغصب أموالها.. يسلبونها فدكها.. يجلدونها بالسوط.. ولكن ليس لهذه السياط أن تؤذي ذاك المقام المعنويّ ولا أن ترقى إلى تلك المنزلة، فحتّى لو تقطّعوا فاطمة الزهراء إرباً إرباً.. فهي فاطمة الزهراء، وهي شفيعة للأمة في جميع العوالم، وهي حاملة لواء التوحيد يوم القيامة. وهي سرّ عصمة وطهارة الإمام الحسن بن عليّ، وسواء قطّعتموها إرباً إرباً أم لا فإنّ الإمام الحسين ابنها هي! فاقتلوا أنفسكم كي تثبتوا ذلك... سواء تقولون إنّ الإمام الحسين <ابن رسول الله> أو لم تقولوا.. لا تقولوا هو <ابن رسول الله>!! لا تسمّوه <ابن رسول الله>!!

ولكن الواقع هو أنّ الإمام الحسين هو.. الإمام الحسين هو من فاطمة الزهراء، وفاطمة الزهراء هي ابنة النبي، والآن تريدون أن تُسمّوه كـابن النبي > أم لا.. فلا تسمّوا.. فإنّ ذلك لا يغيّر الواقع الخارجي.

إلا أنّ الجاهلين لا يدرون أنّهم يريدون أن يحذفوا هذا الأصل الراسخ، والحال أنّ هذا الأساس غير قابل للتغيير والحذف!! فهو لا يقبل الزوال.

ولكن عجيب واقعاً، كيف أنّه يأتي موجود إلى هذه الدنيا.. تأتي امرأة وتضع قدمها في هذه الدنيا وأنها إلى أيّ حدّ تحبّ أباه، وإلى أيّ حدّ هي عاشقة وإلى أيّ حدّ تأسّت بنبيّها (بأبيها) حتّى صارت روحها روح النبي، وأصبح سرّها سرّ النبي. فالنبيّ حينما رجع من سفره، كان أوّل منزل حلّ فيه هو بيت فاطمة، وحينما وقعت عينه على ستار مسدل، ثمّ تابع سيره من باب منزل فاطمة ودخل المسجد.. التفتت فاطمة بسرعة وعلمت السبب في رجوع النبيّ، فهو يأتي دائماً إلى المنزل ويجلس، فنادت سلمان.. تعال! خذ هذا سوارى الفضّيّ هذا.. وكذلك الستار المتدلّي، ففتحت الستار وأعطته إلى سلمان مع السوار وقالت: خذه وقدمه لأبي وقل له أنّ يقسم ذلك على الفقراء، فأخذ سلمان السوار والستار وأعطاهما للنبيّ.

فسأله النبيّ: من الذي أعطاك ذلك؟

أجاب سلمان: يا رسول الله! قالت فاطمة: أبي لم يدخل المنزل، وقد تفحصت كلّ شيء ولم أجد غير هذين الأمرين علّة لعدم دخوله.

فقال النبي: <روحي فداء لفاطمة التي تعرف سرِّي وتطلع على فكري>.. وهذا نوع من التأسّي كذلك.

لقد جاهد جيش الإسلام، وجلبَ عدداً كبيراً من الأسرى نساءً ورجالاً حتّى امتلأت المدينة من النساء والرجال الأسرى، إلا أنّ فاطمة لم تكن تمتلك حتّى خادماً واحداً ولا جارية.. وكان عليها أن تغزل الصوف وتحيكه بنفسها.. وعليها أن تطحن الحنطة وتدير رحى الطاحونة ثمّ تعجنه وتخبزه بنفسها.. وعليها أن تهَيّ الحليب بنفسها للإمام الحسين.. ولقد جاءوا يوماً وقالوا لفاطمة: يا فاطمة! فلتقولي لأبيك أن يعطيك واحدة من هذه الجواري اللواتي تمّ أسرهنّ، لتأتي إلى منزلك وتنجز لك أعمالك، ألحوا عليها.. وأصرّوا.. فجاءت إحداهنّ وأخبرت النبيّ نقلاً عن فاطمة، يا رسول الله! ها أنت تقسم كلّ هذه الجواري على المسلمين، وهذه ابنتك ولها حقّ أيضاً.. فجاء النبيّ إلى منزل فاطمة وقال: يا ابنتي! نحن نعطي سهم المسلمين، إلا أنّي أحبّك أن تصبري على هذه الصعاب؛ هل تعلمين أنّ هناك درجات للمؤمنين يوم القيامة لا تعطى لهم ولا ينالونها إلا بالصبر! فهل تريدان أن أعطيك ما هو أفضل من ذلك؟ قالت فاطمة: نعم، تفضّل عليّ يا رسول الله، فقال لها النبيّ: سبّحي الزهراء بعد الصلاة (وهي تسبيحة الزهراء المعهودة)! اقرئي ذلك وداومي عليه حتّى تبلغني ذاك المقام، قالت فاطمة: أنا ماذا أفعل بالخادمة؟! مالي وما للخادم!! أنا أريد رضاك أنت.

وكان النبيّ قد قسم الأعمال بين فاطمة و علي فجعل الأعمال المنزلية لفاطمة الزهراء، منذ تلك الليلة التي وضع فيها النبي (صلى الله عليه وآله و

سلم) يدَ فاطمة بيد عليّ وقال: فاطمة! أنتِ على عهدتك العمل داخل المنزل، والأعمال الخارجيّة على عهدة عليّ من جلب المواد الغذائية ورعاية الأشجار وقطف التمر وإجراء الماء والحرب والجهاد كلّ ذلك على عهدة عليّ، والأعمال المنزليّة على عهدتك، أي تكفّل الأمور المنزليّة هي مسؤوليّة عليك، هذه هي المسؤوليّة التي ألقاها النبيّ عليها كانت فاطمة والتي هي سرّ النبيّ راضية.

وفي تلك المدّة القصيرة - حيث ذكر ذلك في أغلب التواريخ - منذ أن قام النبيّ بزفافها إلى أمير المؤمنين، حيث كان عمرها تسع سنوات، إلى زمان وفاتها حيث كان سنّ فاطمة ثمانى عشرة سنة.. في هذه الفترة الوجيزة أنجبت فاطمة خمسة أولاد: منهم الإمام الحسن، ومنهم الإمام الحسين، والسيدة زينب، والسيدة أم كلثوم، وأمّا محسن والذي لم يأت إلى الدنيا أيضاً، نحن نقول: <محسن>، والحال أنّه ما الذي يدرينا، هل كان أقلّ من الإمام الحسين؟! هل هو أقلّ من الإمام الحسن؟! فهو ابن عليّ وفاطمة.. إلاّ أنّه قتل وهو نطفة.. كان جنيماً وطحنوه بين الباب والحائط!!

حينما كان النبيّ يودّع الدنيا كانت فاطمة تبكي كثيراً، كانت متألمة وتنشد هذه الأبيات من الشعر:

وأبيضُ يُستسقى الغمامُ بوجهه

ثمّالُ اليتامى عصمةٌ للأرامل

يعني: يا أبتاه الجليل! كنتَ السحاب الأبيض في أعالي السماء، حيث تهطل منك الحبيبات من ماء الرحمة، وكنت بالنسبة لجميع الأيتام والأرامل المحتاجين كغيم الرحمة.

فقال النبي: تعالي يا فاطمة! لمَ تنشدين هذا الشعر؟ اقرئي هذه الآية من القرآن:

P O N M K J I H G F E D C [

Z S R Q ^(١) فتألمت فاطمة كثيراً، وجميع نساء النبي يجلسن من حوله ناظرات، قال النبي: فاطمة تعالي تعالي تعالي! اقتربت فاطمة منه، فقبلها، وقال لها جملة قصيرة، فقامت فاطمة عن صدر أبيها وهي تبتسم، فسألنها: ماذا قال لك النبي حيث تبدل حالك من حالة الابتهاال والتضرع إلى حالة التبسّم؟ قالت فاطمة: قال النبي لي: لِمَ تحزينين؟ فإنك تلحقين بي بعد بضعة أيام، وأنتِ أوّل من يلحق بي من أهل بيتي.

Z G F E D C [^(٢) وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

^(٣) نسألك اللهم وندعوك ونقسم عليك بمحمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والتسعة الطيبين الطاهرين من ذرية الحسين وباسمك العظيم الأعظم الأعز الأجل الأكرم يا الله...

اللهم ارحمنا.. وتجاوز عن جميع خطايانا.. واجعلنا من المتأسين بسنة رسول الله.. شملكم الله جميعاً برحمته.. إن شاء الله.

١ - سورة آل عمران (٣) صدر الآية ١٤٤.

٢ - سورة الشعراء (٢٦) الآية ٢٢٧.

٣ - سورة البقرة (٢) الآية ١٥٦.

يصادف غداً ذكرى شهادة الإمام الرضا عليه السلام، وذلك حسب الرواية الأصحّ والأشهر التي تنصّ على أنّ شهادته كانت في آخر شهر صفر، وسيقام المجلس المعهود من الساعة السابعة إلى التاسعة في المنزل.

رحم الله من قرأ الفاتحة مع الصلوات

الفهرس الأبجدي للمواضيع

خطر الجمع بين سنة النبي و غيرها في مقام العمل

١٦.....

ا

الافتداء

بيان العلة في ضرورة الافتداء بشخص النبي صلى

الله عليه وآله دون سواه٦

ضرورة التأكد من تحقق الإقتداء في أنفسنا٧

ل

لباس

عودة إلى مسألة اللباس١٥

ت

تأسي

بيان أهمية التأسي

انعكاس حقيقة المتأسي به في النفس

.....١٣

تفسير مختصر

شرح معنى الآية المباركة ^٨ لقد كان لكم في

رسول الله أسوة...%.....٣

م

مقام النبي

تفنيد الاعتقاد بأن مقام أمير المؤمنين أرفع من مقام

النبي١٨

ن

نماذج من سيرة و سنن النبي

١- إعفاء اللحي٩

٢- اللباس وبيان مسألة ارتباط التأسي بالحب٩

٣- تسمية الأبناء

أثرها في شخصية الولد و تعبيرها عن

شخصية الوالد١٠

٤- اللجوء إلى القرآن١٤

٥- سلوكياته اليومية٢٣

٦- جهاد النبي صلى الله عليه وآله٢٤

٧- زواج النبي صلى الله عليه وآله و تعامله مع

زوجاته٢٥

٨- علاقة النبي صلى الله عليه وآله بابنته فاطمة

عليها السلام و أثره على سلوك زوجاته

والحزب المعادي٣٢

نموذج الافتداء التام

أمير المؤمنين عليه السلام١٧

ح

حب

الحب يقتضي التأسي الشامل١٣

حقيقة النبي

بيان حقيقة النبي٢٣

خ

خطبة

خطبة أمير المؤمنين في التأسي بالنبي صلى الله

عليه وآله١٩

س

سنة النبي

